

جوري غرايم: حولني الثلج إلى عظام شفيضة

ترجمة
وتقديم
محمد
الحوي



طبعاً ستكون نيويورك «الباردة كتفاحة فوق الثلجة الزرقاء» حسب وصفها، مسقط رأسها في العام 1950. وطبعاً ستكون إبنة لصحافي ونحاتة وستقضي طفولتها في أروقة روما حيث «غيم بحجم المارد يلف حبيبي بوردة»، حسب وصفها في غير مكان، قبل أن تنجز دراستها للفلسفة من جامعة السوربون في فرنسا وطبعاً ستنتهي سجالها مع «العقل» عبر دراسة السينما في جامعة نيويورك قبل أن تتفرغ بعد ذلك، جوري غرايم الشاعرة العميقة، إلى سجالاتها المسفوحة على الورق مع «الذات» و«العالم» وأشياء أخرى كثيرة عن «اللاموراء».

قال في شعرها الناقد والشاعر المعروف جيمس لونغنيك (1959-) في مقالة معمارية في صحيفة «نيويورك تايمز»: «الثلاثين عاماً، استطاعت جوري غرايم أن تضم في شعرها كل عجينة الإنسانية من ذكاء وعلمية ومحلية وقيامية وأهملت العاطفة بمعناها الضيق الذي غالباً ما يُحفظ به للقصاصد مؤمنة أن الشاعر هو صانع التجربة وليس ناقلها فحسب. إنها في مصاف ريلكه وبيتس في تصنيفها للشاعر على أنه شخصية عامة تتصدى لأكثر المسائل الفلسفية والسياسية إلحاحاً في زمنها وذلك ببساطة شديدة عن طريقة كتابة الشعر». غرايم صاحبة إثنتي عشرة مجموعة شعرية أهمها «نهاية الجمال» (1987) و«منطقة اللاتشابه» (1991) و«أبداء» (2002) و«مكان» (2012) ويصدر لها قريباً جداً مجموعة «قصائد مختارة» (1976-2012) وقد ترجمت جُل أعمالها إلى لغات حية كثيرة أهمها الألمانية والإسبانية والبولندية والفرنسية. تصف علاقتها بالحياة والشعر في أحدث حوار لها في «صحيفة باريس ريفيو» «الضيف الفأنت: يبدو أن البشر غير مرتاحين كيف أمست حياتهم فوق هذا الكوكب. عدم التطابق هذا بين هذه السلالة باحتياجاتها ونوازعها وبين هذا المكان المسمى كوكباً لهو فصام تراه في كل تفصيلة حياة. وهذا ما أصابني وبصبيتي بجرح بالغ، بأسى وأحياناً بغضب ثم يتبع كل هذا ذهول تام. طالما عرفت أن الرغبة في علة البشر الدائمة وهي أيضاً شغلنا الأكثر انقاداً. وهذا بالضبط ما استقي كتابتي ومنه وما أكتب عنه في نفس الوقت. هنا أربع نصوص للشاعرة، وتجد الإشارة أن النص الأخير نشر في العدد الجديد من «لندن ريفيو أوف بوكس».

صلاة

من على درابزون المرفأ، أنظرُ إلى أسماك المنوة بالآلاف تدوم في الماء، عضلات ضئيلة، تصنع التيار من اتساقها (تدور، تتداخل، تدخل وتخرج في اتساق)، تصنع تيار ماء تراه العين تياراً لا تعكّر صفوة الثواني ولا خلجات الماء ولا حتى الدوائر التي يصنعها وصول قارب، هناك حيث ترتطم الأسماك بقعر غائر، بماء تنفجر بفسها (للماء طبقاته) تيارٌ حقيقي إنما لا تراه العين يرسل عبر أسماك المنوة حركة تفرض التغيير- هذه هي الحرية. هذه هي قوة الإيمان. لا أحد يحصل على كل ما يريد. أنت تغيرت إلى الأبد. التوق الآن هو لأن تكون نقياً وكل ما تحصل عليه يتغير. كل دقيقة لامعة تمّ تنسج معها الخلود وكذلك النسيان، بالطبع وترددات شيء ماء في عرض البحر. هنا يدان

تقبضان على الرمل وتتركه ينساب مع الريح، أنظرُ وأقول هذا ما خرجت به من الحياة. لكني هل أسمع الآن؟ ولن أستمع إن لم أكن قد قلت شيئاً؟ أنا فعلت شيئاً عندما لم أستطع أن أختار كلمة واحدة فقط. الآن أنا حرة تماماً أن أمضي في طريقي، وطبعاً لا أستطيع أن أعود. ليس لهذا أبداً. هنا ثمة شبح مسمرٌ على شفطي. هنا. أبداً.

مدينة سان سيولكرو الإيطالية

في هذا الضوء الأزرق أستطيع أن أنقلك إلى هناك حيث حولني الثلج إلى عالم من عظام شفيضة: هنا بيتي، حصني من الجدار التروسكاني، أشجار ليمون جيراني، وتحت الكنيسة التي في أسفل الشارع، مصنع الطائرات. ثمة ديكٌ يصيح منذ الفجر طوال اليوم، خلف الجدران ثمة حليب في الهواء، جليدٌ فوق قشور الليمون للزجة، كم نظيف هذا العقل، قبرٌ مقدّس. هذه هي البنث قرب بيرو ديلا فرانسيسكا تفكّ أزوار فستانها الأزرق، أزوار ثوب الولادة وتدخل في المخاض. تفضل يمكنك أن تدخل

من حيث المادة وليس من حيث المكان. بينما الخوف الصغير من العناكب يعضُّ كل الإبر إلى الخطوط، كل الخطوط إلى الأفاريز، كل الأفاريز إلى دغل الدبابيس، كان، في أي لحظة، ستتهوى الأشياء أكثر ولن ينفعها أي شيء بأن تسترد معناها. وإن نجحت هذه العناكب برمي شبكها فوق العالم المرئي، فهل سنكون داخل الشباك أم خارجها؟ سأختار أن أكون في الداخل. هناك ذلك الشعور الذي يمنحه الجسد للعقل كأن تفقد شيئاً، فقرأ مدقعا، أو كأن تشقّط

دون الإحساس بأنك تعبر عالماً واحداً، أو كأنك تصل إلى عالم ثانٍ في أي وقت. بالمقابل ما يحدث هو أن ما هو حقيقي يغربك، الآن جسدك هو الوصول وأنت تعرف هذا لكنك لا تستطيع تجاوزه. لكن في مكان ما بين هذه الإوزات تدخل وتلك العناكب تعود أدراجها، هذا البطء المذهل كل يوم يحدث.

رسمٌ ذاتي في درجة حرارة 3

أنا من يتحرّس بالترباطات الممكنة ليس أنت- من لاحظ - إن كان العالم- لأن كان العالم- أخذ العوالق الذي

قبل ولادة الرب لم ينهض أحد بعد ليزور المتاحف إلى حيث يتحلّق الناس. جثناً وأجنحة. إلى السوق العام. هذا ما يفعلهُ الأحياء: يدخلون والثوب يتابع الإنفتاح من الخلود إلى الخصوصية. بسرعة. في الداخل، في العمق تكمن الماساة، اللحظة الراهنة مينة قبل أن تولد، لكن الناس يدخلون كل نفس زبّ بنفك شيء رشيق بشكل مخيف تماماً يشير بالأصبع إلى كل العوائق.

الإوزات

وأنا أنشر الغسيل اليوم أرى الإوزات مرة ثانية، رمز طارئٍ وخلاّب تغذ السير برؤسها الدقيقة. لأيام عبرت أمامنا. نحن نعيش تحت هذه الإوزات كأننا نعيش تحت مرور الوقت، أو تحت عنوان أكثر ملائمة. أخشى أحياناً قربهم أقرب من اليد، بين الخطوط تقلد العناكب الممرات التي لا تحيد عنها الإوزات، تقلدها إلى ما لا نهاية: لن تبقى الأشياء مرتبطة ببعضها البعض، لن تُشفى وستزداد ثخانة العالم من حيث المادة وليس من حيث التاريخ.

أشعرُ به لا يقوى على الحب بعد الآن- أخذ العوالق ذلك الحب الذي احتفظ به لوجود من نوع آخر- أخذ العوالق الوجود الذي هو الآن شكل من أشكال الدعاية- لا ماذا أقول- أخذ العوالق- أهم أنواع النباتات على الأرض- فكر بالحب- الحب الذي يشكّل على الأقل نصف إنتاج المحال الحيوي برمته- أنا أحب هذا- أحب ماذا أقول إن لا خيار لك- وهذا الناتج أكبر من كل النباتات على سطح هذا الكوكب- هذه النباتات التي تبرعم وتكبر حتى ليصبح بمقدورك أن تلتقط صوراً لها من الفضاء- أخذ كل شيء حيّ تفضل حذّه- لا أستطيع الإحتفاظ به بعد الآن- لا تريد- لا أهتم- إخملة أنت الآن- أحتاج أن ألتقط أنفاسي- أريد أن أستلقي هنا وأصغي- خلال خمسين عاماً إن كنا محظوظين- أكتب هذا الآن في عام 2015- مثل من يرش مبيدات الأعشاب الضارة فوق خضار العالم- أعني فوق موادنا الخام، فوق بضاعتنا، الآن تماماً، نمر بمراحل أشكال العبادة، هذه التي نسميها الأخبار، سنجعل من أنفسنا زبائن، لن ننتظر، بأي سرعة سيتم تسليمنا إلى المنازل- سنبلعكم بكل شيء- يحتاج الأمر مراجعة أخرى- أنظر كان هناك ثمة نهراً في يوم من الأيام- ذات صباح أستيقظت وكنت قد وُلدت-

استنحتجُ أني وُلدت- كانت الأرض مكاني- حيل السرة الخن المتماوج المتهادي يرفع نظره إلى السماء التي في التربة هل ساتعلم كيف أقف فوقه- ساتعلم- إنني أقف فوقه، أنظر، أنا إمكانية نمو، سأجمع تراكماً، سأصبح مُستهلكاً مضطرباً مستقبلاً لا يمكن صرفه ولا شكّل له- على هذا النحو أعني لك- وقفت لأول مرة لوحدي- في قدمي قوة فوق الخيال، في يدي قوة فوق الخيال- كيف لا يتوق مني أن الحق الأذى- إن أردت أن ألمس الأشياء حتى تنكسر- أعني أن أنظر إلى تلك الأشياء- إلى كل نقاط التواصل، عشوائية الأشياء، الإضمحلال، الضغط ثم النزاع ثم النظر، التخلي- فوق الخيال- ثمة معنى في كل خطوة- أعني هبتي- هذا أمر مسموح به- تثبت الريح أن كل شيء خطأ- لهذا لأوجد لشيء فوق الخيال- لهذا لأوجد طاقتي وسبكون لك ما تريد- الحلم- شكّل من أشكال اليقين- قوئ شاسعة تتجمع تحت أشعة الشمس- مع هذا- أشعر أن هذا هو الصفاء- هذا هو الإكتمال- شيء رمي كالنشاب إلى الحرش- دون إرغام إنما تحليق متموج يجمع الهلع بلا هواده في كتل من الشعور- مما يدفعني إلى التفكير أن سنوتوات الأشجار التي تنهال من قلب الشجرة لم تكن أوراق أشجار أصلاً وحقل الشرائع هذا لا يمكن رؤيته إنما للصدمة قانونها الخاض شيء- مفاجأة- لا فوضى- إن أصغيت: كل أقم هناك. تناسلات متقاطعة مني وفراغ. أنظر في الأمر. أسقط هنا. أعطى صفاً. عزف البيولوجيا البشرية. عزف الإنسان. أين تجذ نفسك. هل يستحق هذا الإنتظار. رياح. هات عقلك معك عندما تأتي. جلدك أيضاً، يجب أن يكون قد تمّ تزويجك. وابتسامتك. أحسّ ومعطوب. لا تفكر بالأمر حتى. نحنا كلنا متعبون. نحن بحاجة الأدوات لنصنع الأدوات. أيضاً نحتاج العمرة. هل سنقتنا عصرنا أم هل فاتنا الوقت؟ لا أحد يلاحظ وجودنا تنطلق الصقارة لا تلجج العصافير أذى باحد. أقم.